# تمهيد

يهودا شنهاف

يشمل العدد الحالي تسع مقالات طويلة واربع مقالات قصيرة وملف تصوير وزاوية لمراجعة الكتب. تنتقد مقالة **عاموس موريس-رايخ** الموقف الذي يتناول مفهوم "منطقة" من خلال المنظور السياسي الواسع، وبدلاً من ذلك يقترح معاينة هذا المفهوم عبر طيف الأسئلة التاريخية والتطوّر الثقافي. يدّعي الكاتب أنَّ مفهوم "منطقة" هو "عنصر مركزي في روح المجتمع الإسرائيلي العلماني، وبفعل ذلك تحديدًا يمكن الوقوف من خلاله على التوتّر الديني المُؤَسّس في الثقافة الإسرائيلية العلمانية". من جملة ما ينتقده الكاتب، فإنه يوجّه أسهم نقده باتجاه نظرية المعرفة القائمة في أساس النقاش حول الحيّز، كما تجلّى في العدد 16 من مجلة "نظرية ونقد" الذي حمل عنوان "حيّز، أرض، بيت".[1] ويقول موريس-رايخ: "في معرض تحليل [الحيّز الإسرائيلي]، تظهر في حالات عديدة بصورة جليّة النزعة لمنح أفضلية للسياسي بدلاً من الثقافي". من العسير جدًا تصوّر نظرية نقدية في إسرائيل، كما هو الحال في بقية الأماكن الأخرى في العالم، في ظلّ غياب تطوير حقيقي لمفهوم الحيّز وعلاقته بمصادر القوّة. يُتخيّل لي أنَّ الكاتب يسعى إلى طرح نظرية معرفية ثقافية لمفهوم "منطقة" ملتزمة باتّخاذ موقف بشأن مسألة العلاقة التي تربط بين مفهوم "منطقة" وبين منظومات القوّة، وبخاصة إذا كانت هذه المنظومات تعمل في مواقع "أخرى". ينطوي هذا النقد، برأيي، على مساهمة رمزية فقط. كان العدد 16 العدد الأول الذي قمت بتحريره والعدد الحالي هو العدد الأخير الذي أقوم بتحريره. كانت قضية الحيّز والاقتصاد السياسي للحيّز من المواضيع المركزية التي تناولتها مجلة نظرية ونقد في فترة تحريري لها.

تتناول مقالة **نيتسان ليبوفيتش** موضوع نقد النظرية النقدية المعاصرة، ويدّعي الكاتب أنَّ هذا النقد يُحدّد سمات هذه الفترة المعاصرة من خلال استخدام الأدوات الكارثية التي تمّ بها توصيف المانيا في عشرينيات القرن العشرين. يقوم الكاتب بتحليل تمثيل براديم حالة الطوارئ في "السينما السياسية"، ويناقش مسألة ملاءمة هذا التحليل النقدي لإسرائيل، وبخاصة بشأن قضية تأبيد حالة الطوارئ ضمن منظومة تأويلية واسعة وشاملة. تجدر الإشارة إلى حقيقة أنَّ أفكار كارل شميدت حازت في العقد الأخير على انتعاش فكري لم يسبق له مثيل في أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل. يعتبر جورجيو أغامبين أحد المعاصرين المرموقين القائمين على صياغة نظرية حالة الطوارئ النقدية. يشير الكاتب إلى فكرة الكارثة التي يقترحها أغامبين، والتي ترى بالصراع القطبي (بين الخير والشر، كما ترى المانوية) الجوهر السياسي. يقوم هذا المفهوم للصراع على التمييز بين الصديق والعدو، ويدعو هذا المفهوم، وفق ادّعاء الكاتب، إلى دمار المنظومة السياسية وموضعتها ضمن المقولات الثنائية السياسية التي لا تقبل المساومة: "تعرض السينما البيو-سياسية مرآة سوداوية في مقابل السياسة المعاصرة وتفرّغ الادّعاء الأخلاقي من مضامينه". وبهذا الشكل

[1] نظرية ونقد: حيّز، أرض، بيت، العدد 16 (ربيع 2000).

يتم تعزيز قطبي حالة الطوارئ المتطرّفيْن – القطب الإيجابي والقطب النقدي – واللذان يحوّلان السياسة إلى أمر لا حاجة له.

لا من شكّ أنَّ براديم حالة الطوارئ هي البراديم السياسي المهيمن، ولكن الدمج بين الموقفيْن – الموقف الشمولي والموقف النقدي – يستدعي صياغة أكثر تركيبًا. يتم رسم ملامح أوجه الاختلاف بين الموقف الإيجابي والموقف النقدي بصورة حذرة، إلاّ أنه منذ لحظة رسمها تظهر بينهما فجوة كبيرة جدًا. حتى وإنْ تحلّى الموقفان بنظرة نقدية للسياسة الليبرالية، يبقى عدم الاتفاق بينهما كبيرًا بشأن مصادر العنف والأسس الأخلاقية التي تقوم عليها هذه المصادر. يقول الموقف الأول إنه هو ذاته براديم يعبّر عن شمولية السيّد، أما الموقف الثاني فإنه يعكس شمولية حالة الطوارئ، كشمولية المحارب على سبيل المثال. في مقابل الزمن العلماني للسياسة – الذي يُعتبر إطارًا فارغًا لا معنى له، ويُشبه عودة الأحداث ذاتها من لا مكان – يحاول فولتير بنيامين أن يستحضر لحظة متميّزة، هي أشبه ما تكون بلمعان للحظة واحدة كوميض آلة التصوير اللحظي. إنه وميض يحدّ من سير الحياة اليومية، كما أنَّ الأعياد تحدّ من سير أعياد الحِلّ الرتيب حين تستحضر تجارب من الماضي وتُدخل لحظات من زمن آخر في المجرى التاريخي (محور زمني مغاير): نعني الزمن اللاهوتي-السياسي. إنَّ هذا الزمن ليس خطيًا وإنما يعكس حركة لا تفترض انفصال هذه المقولات الواحدة عن الأخرى. على سبيل المثال، لا يمكن لنا فهم تاريخ الإمبريالية الحديثة ومقاومتها من دون فهم العلاقة المكمّلة التي تربط بين اللاهوت السياسي للاحتلال وبين السياسة الليبرالية في العواصم الحضرية. من وجهة نظر الضحية، فإنَّ السياسة فعلاً فارغة من المضامين وهي المسئولة عن استحداث الاستقطاب الشاذّ.

مقابل ليبوفيتش، الذي يعمل على مسألة وعي الأزمة في خطاب اللاهوت-السياسي المعاصر كجزء من أزمة الحداثة، يشير **فيني إيفرغن** إلى ما يطلق عليه تعبير الامتناع عن التعاطي المباشر مع أزمة الحداثة عند كارل شميدت وهانس بلومبرغ. تركز مقالة إيفرغن على اللاهوت السياسي وعلى شكل صياغة العلاقة المتبادلة التي تربط بين اللاهوتي والسياسي: علاقات أصولية (اللاهوت هو مصدر المفاهيم السياسية الأساس)، وعلاقات قياسية (السياسي قياسي للاهوتي)، أو علاقات تمثيل مركّبة بصورة أكبر. يُذكّرنا إيفرغن أنَّ الدافع القائم وراء عملية إدراك العلاقة بين اللاهوتي والسياسي ليس نقاشًا لاهوتيًا وإنما يقع في صلب الفكر السياسي والقضائي الحديث الذي يسعى إلى الوقوف عند طبيعة السياسي في العصر الحديث. يصف لنا الكاتب تبادل الرسائل بين هانس بلومبرغ وبين كارل شميدت بين الأعوام 1971-1978 في أعقاب الملاحظات التي وضعها شميدت على كتاب بلومبرغ "شرعية الزمن الجديد".[2] وفق إيفرغن، فإنَّ المساهمة النظرية الهامة لهذا النقاش لا تكمن في فرصة دراسة العلاقة بين هذين المفهومين فقط وإنما تغيير دلالاتهما أيضًا بالتزامن مع حركتهما. يفترض المحور الأصولي أنَّ المقولات منفصلة

[2] Blumenberg, Hans. *Die Legitimität der Neuezeit*, 2nd ed., Frankfurt: Suhrkamp, 1966.

(الزمن التاريخي-العلماني والزمن اللاهوتي غير التاريخي) ووجود مسافة زمنية تفصل بينهما، بينما تمنح هذه المقولات الفرصة للدمج بينهما. ظاهريًا، هنالك تمييز بين المحور الأصولي الدامج وبين المحور القياسي المفصّل. بحسب التأويل الأول (الأصولي) فإنَّ استخدام اللاهوتي يعتبر بالأساس ثمرة عمل الماضي، وبحسب التأويل الثاني (القياسي) فإنَّ استخدام اللاهوتي يعتبر ثمرة عمل الحاضر. إنَّ القياس بوصفه مبدأ منهجيًا يمنحنا فرصة استخدام لغة اللاهوت وعلم الإشارات اللاهوتية (السميوطيقيا اللاهوتية) وأفكار لاهوتية في المجال السياسي في الزمن الحاضر. بمعزل عن تسميتنا للقياس لاهوت-سياسي أو سياسة-لاهوتية فهو يختزل المسافة المعلن عنها بين اللاهوتي والسياسي لأنه مُتمثّل على يد صورة الربّ في الهيكل السياسي.

تتعاطى مقالة **أور ألكسندروفيتش** مع زاوية نظر مهملة في العمارة الحديثة: "المواد التي تتشكّل منها العمارة". إنَّ أسئلة مثل "كيف تبدو العمارة؟" و"ما هو وقع العمارة؟" تستحدث مجالاً خطابيًا للعمارة الحديثة، بينما تعتبر أسئلة مثل "ممّا يُصنع الشيء؟" فهي الشواذ هذا الخطاب. يقول ألكسندروفيتش: "يبدو ظاهريًا أنَّ الحديث يدور حول سؤال مركزي لا يمكننا إنشاء عمارات في العالم الحقيقي من دونه. إلى جانب ذلك، من الصعب علينا أن نتخيّل أن سؤالاً واحدًا من شأنه أن يغيّر طبيعة الخطاب المعماري الحديث. فحين يتحدّث المعماري أخيرًا حول المادة فإنَّ الأمر يشهد بصورة عامة على الحاجة الملحّة له للتعامل مع موضوع مغاير". ويضيف الكاتب: "إنَّ المادة ليست شيئًا ساذجًا، وإنما تجلب معها أمرًا ليس بالمادي إلى موقع البناء". يشير الكاتب إلى نظرة سياسة المواد هذه المنخرطة في فرع البناء في العام 1909. فقد تمّ البدء في العام ذاته ببناء حي "أحوزات بايت" شمال مدينة يافا. يكشف لنا الكاتب عن كيفية استخدام مواد البناء في ذلك الحي لحلّ مسألة "العمل العبري". إنَّ استخدام الإسمنت وحجارة الطوب في أسس البناء العبري يحمل بين طيّاته دلالات أيديولوجية أيضًا لا تكنولوجية فحسب.

تفحص **أرئيلا أزولاي** موضوع الدعارة وتوجّه نقدًا إلى رؤيته موضوعًا ثابتًا يتمتّع بسمات واضحة بصورة أو بأخرى. ينطوي مثل هذا الفهم على جمع بين طبقات وأنواع مختلفة من الدعارة في إطار موضوع واحد ثابت يبدو وكأنه مفهومًا ضمنيًا. تدعي أزولاي أن هذا المفهوم إنما هو ثمرة التحوّلات التاريخية التي مرّت بها النساء، وبصورة خاصة ظهور المفهوم الجديد للمواطنة الحديثة. قامت الكاتبة بفحص وثائق تاريخية تمتد منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتّى إلى الحرب العالمية الثانية، وتسعى من خلال ذلك أن تصحّح العلاقة الضبابية التي تربط بين إقصاء النساء من المواطنة وبين طرد الزانيات من الحيّز الجماهيري العام، ومن هنا الإشارة إلى غياب مثل هذه المقولة الثابتة في هذه المستندات. وتدّعي الكاتبة أنَّ تجاهل التباينات القائمة في النظرة إلى الدعارة وتسطيح هذه النظرة يوازي مسألة إقصائهن من الحيّز العام.

تقوم **شوشانا مريومه-مروم** بفحص الاقتصاد السياسي القائم في صلب سياسة الرفاه في الخمسينيات والستينيات وطرق استحداث تلك الفئات التي يطلق عليها تعبير "الطبقات التي تعاني من الضائقة" أو "إسرائيل الثانية". وتدّعي الباحثة وجود سياستان معرقنتان للرفاه وهما متوازيتان.

قامت الأولى على مبادئ العرض انطلاقًا من مبدأ مدى القرب من السلطة، وقامت الثانية على مبادئ يعود مصدرها إلى قوانين الفقراء التي سادت في إنجلترا في القرن التاسع عشر. تقوم الكاتبة بتحليل حادثة تاريخية خاصّة هي بمثابة تقديم تقرير حول واقع الرفاه الاجتماعي في إسرائيل على طاولة الأمم المتحدة في العام 1961. قام فيليب كلاين، بروفيسور في جامعة كولومبيا في نيويورك وخبير في الأمم المتحدة للسياسات الاجتماعية، بكتابة هذا التقرير. وأشار كلاين في تقريره هذا إلى "التناقض الحقيقي الكبير بين حصص المساعدة المقرّرة وبين نفقات الحياة الأساسية". ويشير كلاين إلى العنصر الإثني-العرقي الذي يقوم في أساس هذه السياسة: "كذلك، تسود معارضة معينة بين صفوف الفئات الميسورة للمهاجرين الجدد من بلاد الشرق الأوسط. وقد سمعتُ أحيانًا كثيرة من المهاجرين القدماء أنَّ هؤلاء متخلفين وأنهم مختلفين بعقلياتهم وأنه ليس هنالك إمكانية لدمجهم على الصعيد الثقافي ... يعزّز شعور المهاجرين القدماء بالاستعلاء عدم رضاهم عن حالات الضائقة الاجتماعية". يركّز كلاين على العلاقة بين سياسة العرقنة وبين النظرية المعرفية القائمة في أساسها من خلال الكلمات التالية: "بفعل هذه الأسباب هنالك توجّه غير واقعي بصورة كبيرة جدًا لحالات التبعية بالخدمات الاجتماعية وطرق معالجتها. فبحسب هذا التوجّه، يُنظر إلى المحتاجين للمساعدة بوصفهم كسولين وغير مستقرّين نفسيًّا". قامت دولة إسرائيل بوضع تقرير كلاين على الرفّ بفعل النقد الشديد الذي يوجّهه لها وبخاصة بشأن عرقنة أجهزة الرفاه الاجتماعي. وقد كان غالبية المتوجّهين إلى أجهزة الفقراء هذه من بين اليهود الشرقيّين.

يعرض **حنان حيفر** معارضة الكاتب يوسف برينر (1881-1921) للتأويل السياسي الممأسس للمذابح ضدّ اليهود التي وقعت في العام 1905، ويقول إنَّ اعتراضه هذا ينبع من رفضه العام لكل موقف محدّد وممأسس في حقل السياسة اليهودية. يدّعي الكاتب أنه مثال لفهم وجودي متطرّف جدًا لأهمية الإنسان، أي معاينة أهمية الوجود الإنساني، عبر نفي أية إمكانية اجتماعية سياسية ممأسسة، ومن ضمنها القومية. يحاول برينر عبر هذا الموقف القول بصعوبة التشكيل السياسي للذات اليهودية الفاعلة في العصر الحديث. يفسّر الكاتب ويقول إنَّ برينر لم ينف إمكانية الإبداع الأدبي ولكنه اتّبع مسلكًا متطرّفًا مغايرًا: قام بإعادة الأدب إلى أسسه الأولية – ألا وهي فعل الكتابة. ورفض برينر الطرح القائل إنَّ الأدب إنما هو تقليد لفعل التكلّم عند الإنسان. يمكن للكتابة أن توفّر طيفًا وحيّزًا كبيرًا من فرص الاستماع تقوّض الدلالة الثابتة ظاهريًا التي يفرضها الكلام. توفّر الكتابة إمكانية أن تقوم الأصوات البعيدة أو الحالات المنفية أن تُسمع أصواتها، أو قلّ كتابتها.

يبحث **يوحاي أوفنهايمر** في كتابة اليهود الشرقيّين حول الجسد، وذلك من خلال فحصه لأعمال الأديب دان بنيه سري، وألبرت سويسه، وسامي باردوغو، ورونيت ماطلون. يدّعي الكاتب أنَّ الخطاب النقدي بشأن الجسد الصهيوني قد تجاهل الجسد، وبذلك فإنه ساهم في تثبيت الحيّز الاصطلاحي للخطاب الصهيوني، بشأن التقسيم التقليدي بين السليم صحيًا وبين المعلول، بين الجمال والقبح، وبين الجسد الرجولي السليم وبين الجسد الرجولي العاجز. ويضيف الكاتب أنَّ

"منظومة الصور الثنائية القطبية هذه كانت قوية وصامدة إلى درجة أنها موضعت الجسم الشرقي للقيام بوظيفة شبيهة بوظيفة جسم اليهودي المنفّر في المنفى". ساهم منح الجسم الشرقي هذه الوظيفة في استمرار صياغة الجسم الإشكنازي كمعيار للرجولة السليمة. وفي مقابل هذا الخطاب، تحاول المقالة الكشف عن كيفية قيام الكتّاب اليهود الشرقيّين التعبير عن وعيهم النقدي حيال مصفوفة موضعتهم على هذه الصورة، وكيف قاموا بتطوير إطار بديل للتمثيل مغايرًا عن الإطار الصهيوني السائد. ويدّعي الكاتب أنَّ الجسم الشرقي، وفق هذا الإطار البديل، "قد تمّ اكتشافه بوصفه مادة خامة مثيرة لا يمكن توقع تحوّلها إلى قالب لاستيعاب الجسم القومي، الصهيوني، الإسرائيلي، أو اليهودي في المنفى، أو الآخر. يمنحه الأدب استقلالية وقدرة غير متوقّعة على التشكيل أو قدرة غير مُسيطر عليها". من خلال هذا الخطاب البديل، يمكن الإشارة أيضًا إلى الكتابة "المعيارية" بوصفها كتابة إثنية إشكنازية، ككتاب "تسلّل أفراد" للكاتب حايم كنز أو كتاب "القواعد الداخلية" للكاتب دافيد غروسمان.

تقول الكاتبة **زهافه كسبي** "هنالك مركّبات آخروية جلية موجودة في 14 من أصل 101 نصًّا مسرحيًا في المسرح الإسرائيلي المعياري التي تمّ جمعها في كتاب معيار المسرح العبري". تفحص الكاتبة في مقالتها الرواية الآخروية المتضمّنة في مسرحية "موشيل يريحو" (حاكم أريحا) بقلم يوسيف موندي بوصفها براديم للشكل الذي اختارته الدراما الإسرائيلية بالردّ على تفكك الصهيونية (الليبرالية) من مُثلها. وتقول الكاتبة إنَّ استخدام الراوية الآخروية قد منح المسرحيّين إمكانية فحص إسقاطات الصهيونية المسيحانية، وبخاصة بعد العام 1967، و"الرموز الآخروية الموظفّة في الدراما الإسرائيلية كعلامات واضحة للأزمة الوجودية والمعرفية التي تمرّ بها الثقافة الإسرائيلية منذ ذلك الحين". تعتمد الكاتبة على زاوية النظر الأخلاقية، وتسعى إلى الكشف عن أهداف كاتب العمل المسرحي والتي تعتبر أهدافًا تأويلية أخلاقية بامتياز. يعيدنا هذا الادعاء إلى نقاش ليبوفيتش بشأن السينما السياسية. فكما في الموقف السياسي بشأن حالة الطوارئ، كذلك نجد عند يوسيف موندي نوعًا آخرويًا يتحرّك في منطقة توتّر تقع بين المحرقة النازية وبين الخلاص.

يعرض ملف التصوير الذي يفصل بين المقالات الطويلة والمقالات القصيرة جدار الفصل كشيء للتصوير وكموضوع ثقافي وسياسي. يعالج **مئير ويغودر** في النص والصور التوتّر القائم بين الثقافة والطبيعة: تحويل الجدار إلى أمر اعتيادي، وطبيعية ألوانه، وجماليته القبيحة تحوّلت جميعها إلى جزء من وعينا للحيّز. يحاول ويغودر من خلال هذا أن يشير إلى العناصر الشفافة القائمة في الجدار والتي تعني نجاح مهمة تحويل الجدار إلى شيء طبيعي.

أرى في المقالات القصيرة عاملاً هامًا في الربط بين البحث النقدي والمقولة السياسية. إنَّ كتابة المقالات القصيرة تتيح الفرصة للكتابة المتحرّرة من النمط الأكاديمي المقيّد، حتّى وإنْ كانت نقدية، وتمكّننا من صياغة موقف سياسي مركّب يمكن التعبير عنه بصورة صريحة. يشير **حنان حيفر** إلى الجوانب الإثنية-الإشكنازية في الترجمة الجديدة التي وضعها دان ميرون لقصّة "طوبيا بائع الحليب" للكاتب شالوم عليخم، وإلى التوتّر القائم في علاقات القوّة القائمة بين لغة الإيديش

واللغة العبرية في هذه الترجمة. يقوم كل من **طالي ليف وآيرز كوهن** بوصف زيارة مارغرت ميد إلى إسرائيل في صيف 1956، وعرض موقفها من مشروع بوتقة الصهر الإسرائيلي (صهر الأقليات الإثنية المهاجرة إلى البلاد بعضها ببعض). تتوقف **تمار أرنسون** عند قصيدتين للشاعرة ميري ين-سمحون وعند محاولتها قلب المقولات ثنائية القطب وزعزعتها. وفي الختام، تتوقف **داليه غبرئيل نوري** عند نقل إحدى شجرات الجميّز من مفترق يقع في أحد مداخل مدينة حولون وتفسّره على أنه فعل سميوطيقي (خاص بعلم الإشارات في اللغة).

***

إنه العدد الأخير لنظرية ونقد الذي أقوم بتحريره. لذا، أودّ تقديم الشكر الجزيل لجميع منْ مدّوا يد المساعدة في هذا العمل: لطاقم سكرتاريا المجلة والقائمين عليها، وللمحرّرين والمحرّرات، وللزملاء والزميلات في هيئة إدارة المجلة، وللزملاء والزميلات في الطاقم المصغّر الذين بذلوا جهودًا كبيرة خلال سنين طويلة. لا يمكنني التفكير في مجلة نظرية ونقد بمعزل عن ساره سوريني، مسئولة إنتاج المجلة، والتي كان لي شرف العمل معها منذ مطلع التسعينيات، وبصورة أقرب في العقد الأخير. قامت السيدة سوريني بإدارة عملية إنتاج المجلة منذ عددها الأول، ومنذ ذلك الحين وحتّى اليوم، قامت بإنتاج 36 عددًا. وأودّ هنا التعبير عن تقديري العميق لمهنيتها وتفانيها النادر في العمل ومساهمتها البالغة لمشروع نظرية ونقد.

وأتقدّم بشكر خاص لدز شمشون تسلنيكر، المدير العام السابق لمعهد فان لير في القدس، على الثقة التي منحني إياها حتّى في الأيام العاصفة. دافع د. تسلنيكر عن المجلة في فترات حاول البعض نزع الشرعية الجماهيرية عنها، حتّى وإنْ لم يتفق مع مواقفها. فقد منحني حرية بالغة للعمل بصورة مستقلة كمحرّر، ونقل لي نقده دومًا بعد صدور العدد لا قبل صدوره. كذلك أتقدّم بالشكر للبروفيسور جابي موتسكين، المدير العام الحالي للمعهد، على الثقة التي مدّني بها على الرغم من الخلاف الشديد بالآراء في فترات معينة. أقدّر وأثمّن عمله ونجاحه في السيطرة على الأزمات الداخلية والخارجية التي ألمّت بالمعهد استنادًا إلى مواقف ليبرالية ومن دون المسّ بالروح النقدية التي تتمتّع بها المجلة. إنني على ثقة بأنَّ المحرّرة الجديدة للمجلة، البروفيسور ليئوره بيلسكي، سوف تدفع بعجلة النظرية النقدية قدمًا انطلاقًا من وعيها الخاصّ لهذا التعبير، وأن تأتي بالمجلة إلى حقول جديدة. أتمنّى لها النجاح الباهر من صميم قلبي. كذلك أودّ تقديم شكري الجزيل لإدارة معهد فان لير في القدس ولجميع عامليه على السنين المثمرة فكريًا التي تقع مجلة نظرية ونقد على رأسها.